الباب الرابع

مواد التربية فى وصايا لقمان الحكيم لإبنه

تضمنت وصايا لقمان الحكيم لإبنه مواد التربية و هي : التوحيد ذكر فى أية 13 " وَإِذْ قالَ لُقْمانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" و أية 16 " يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ". و الأدب مع الوالدين ذكر فى الأية 14-15 " وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَفِصالُهُ فِي عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ. وَإِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَصاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ". و العبادة ذكرت فى الأية 17 " يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ" و فى أية 19 " وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ". و المعاملة التى ذكرت فى الأية 17-18 " يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ. وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ".

و هنا سنريكم تفسير الزمخشري فى كتابه "الكشاف" و تفسير الزحيلي فى كتابه "التفسير المنير" كما يلي:

أ. تفسير الكشاف

– وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (12)

شرح الزمخشري أنه لقمان بن باعورا : ابن أخت أيوب أو ابن خالته. وقيل: كان من أولاد آزر، وعاش ألف سنة، وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم، وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام ، فلما بعث قطع الفتوى ، فقيل له؟ فقال : ألا أكتفي إذا كفيت؟ وقيل : كان قاضياً في بني إسرائيل ، وأكثر الأقاويل أنه كان حكيما ولم يكن نبيا ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ، ولكن كان راعيا أسود ، فرزقه الله العتق ، ورضي قوله ووصيته ، فقص أمره في القرآن و سميت سورته باسمه لتمسكوا بوصيته . وقال عكرمة والشعبي : كان نبياً . وقيل : خيّر بين النبوّة والحكمة فاختار الحكمة . وعن ابن المسيب : كان أسود من سودان مصر خياطاً ، وعن مجاهد : كان عبداً أسود غليظ الشفتين متشقق القدمين . وقيل : كان نجاراً . وقيل : كان راعياً وقيل : كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة . وعنه أنه قال لرجل ينظر إليه : إن كنت تراني غليظ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلام رقيق ، وإن كنت تراني أسود فقلبي أبيض . وروي أن رجلاً وقف عليه في مجلسه فقال : ألست الذي ترعى معي في مكان كذا؟ قال : بلى . قال ما بلغ بك ما أرى؟ قال : صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني . وروي أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع وقد لين الله له

الحديد كالطين ، فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت ، فلما أتمها لبسها وقال : نعم لبوس الحرب أنت . فقال : الصمت حكمة وقليل فاعله ، فقال له داود : بحق ما سميت حكيماً . وروي أن مولاه أمره بذبح شاة وبأن يخرج منها أطيب مضغتين ، فأخرج اللسان والقلب ، ثم أمره بمثل ذلك بعد أيام وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج اللسان والقلب ، فسأله عن ذلك؟ فقال : هما أطيب ما فيها إذا طابا ، وأخبث ما فيها إذا خبثا . وعن سعيد بن المسيب أنه قال لأسود : لا تحزن ، فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السودان : بلال ومهجع مولى عمر ، ولقمان . والحكمة في معنى القول ، وقد نبه الله سبحانه على أنّ الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي : هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له ، حيث فسر إيتاء الحكمة بالبعث على الشكر غير محتاج إلى الشكر. (حَمِيدٌ) حقيق بأن يحمد وإن لم يحمده أحد[1].

– وَإِذْ قالَ لُقْمانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13)

فى هذه الأية فسر الزمخشري كما يلي : كان ابنه وامرأته كافرين ، فما زال بهما حتى أسلما. و فى الكلمة (لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) لأنّ التسوية بين من لا نعمة إلا هي منه ، ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصوّر أن تكون منه[2].

---

[1] . أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل فى وجوه التأويل* ، (الرياض: مكتبة العبيكان، د.ت)، ص. 276.

[2] . نفس المرجع ، ص. 277.

و قد قال محمود محمد عمارة فى كتابه "تربية الأولا د فى الإسلام من الكتاب و السنة" يذكر أن الشرك سبيل إلى تمزق الشحصية و انحلالها[3].

و فى تفسير التحوير التنوير قال محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي: ابتدأ لقمان موعظة ابنه بطلب إقلاعه عن الشرك بالله لأن النفس المعرضة للتزكية والكمال يجب أن يقدم لها قبل ذلك تخليتها عن مبادئ الفساد والضلال، فإن إصلاح الاعتقاد أصل لإصلاح العمل. وكان أصل فساد الاعتقاد أحد أمرين هما الدهرية والإشراك، فكان قوله لا تشرك بالله يفيد إثبات وجود إله وإبطال أن يكون له شريك في إلهيته[4].

- وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَفِصالُهُ فِي عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ(14)

- وَإِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَصاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15)

---

[3]. محمود محمد عمارة، *تربية الأولا د فى الإسلام من الكتاب و السنة*،(المنصورة : مكتبة الإيمان، د.ت)، ص. 272.

[4]. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، *تفسير التحرير و التحذير* ،(تونس: الدار التونسية، 1984م)، ص. 155.

قال والمعنى : أنها تضعف ضعفاً فوق ضعف ، أي : يتزايد ضعفها ويتضاعف؛ لأنّ الحمل كلما ازداد وعظم ، ازدادت ثقلاً وضعفاً . وقرىء : «وهنا على وهن» . بالتحريك عن أبي عمرو . يقال : وهن يوهن . ووهن يهن[5] .

قال البخاري : أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال أقبل رجل إلى نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله. قال :"فهل من والديك أحد حى". قال نعم بل كلاهما. قال "فتبتغى الأجر من الله؟". قال نعم. قال: "فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما".[6]

و قد وعظ شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي فى كتابه "كتاب الكبائر" حيث قال: أيها المضيع لاكد الحقوق، المعتاض من بر الوالدين العقوق، الناسي لما يجب عليه، الغفال عما بين يديه، بر الوالدين عليك دين، و أنت تتعاطاه باتباع الشين، تطلب الجنة بزعمك، و هي تحت أقدام أمك.[7]

واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه، وإن كنت مأموراً بحسن مصاحبتهما في الدنيا. ثم إليّ مرجعك ومرجعهما ، فأجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما ، علم بذلك حكم

---

[5]. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المرجع السابق، ص. 278.

[6] . محمد بن إسماعيل البخاري، *متن البخاري بحاشية السندي*، (د.م: مكتبة دار إحياء الكتب العربية، د.ت)، ج. 4، ص.

[7] . شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي، *الكبائر*، (د.م: الحرمين، د.ت)، ص.37.

الدنيا وما يجب على الإنسان في صحبتهما ومعاشرتهما : من مراعاة حق الأبوة وتعظيمه ، وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الاخلال بها ، ثم بين حكمهما وحالهما في الآخرة[8].

- يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (16)

قال الزمخشري : وروي أنّ ابن لقمان قال له : أرأيت الحبة تكون في مقل البحر - أي : في مغاصه - يعلمها الله؟ فقال : إنّ الله يعلم أصغر الأشياء في أخفى الأمكنة : لأنّ الحبة في الصخرة أخفى منها في الماء . وقيل : الصخرة هي التي تحت الأرض ، وهي السجين يكتب فيها أعمال الكفار[9].

- يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17)

(واصبر على مَا أَصَابَكَ) يجوز أن يكون عاماً في كل ما يصيبه من المحن ، وأن يكون خاصاً بما يصيبه فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : من أذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر (إِنَّ ذلك) مما عزمه الله من الأمور ، أي : قطعه قطع إيجاب والزام. وناهيك بهذه الآية مؤذنة

---

[8] . أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المرجع السابق.

[9] . نفس المرجع، ص 279.

بقدم هذه الطاعات ، وأنها كانت مأموراً بها في سائر الأمم ، وأنّ الصلاة لم تزل عظيمة الشأن ، سابقة القدم على ما سواها ، موصى بها في الأديان كلها[10].

– وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ (18)

– وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (19)

قال الزمخشري: والمعنى : أقبل على الناس بوجهك تواضعاً ، ولا تولهم شق وجهك وصفحته ، كما يفعل المتكبرون[11].

ولا تمش لأجل المرح والأشر ، أي لا يكن غرضك في المشي البطالة والأشر كما يمشي كثير من الناس لذلك، لا لكفاية مهم ديني أو دنيوي . ونحوه قوله تعالى : (وَلاَ تَكُونُواْ كالذين خَرَجُواْ مِن ديارهم بَطَراً وَرِئَاء الناس) الأنفال : 47. والمختال : مقابل للماشي مرحاً . وكذلك الفخور للمصعر خدّه كبراً[12].

(واقصد فِي مَشْيِكَ) واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين : لا تدب دبيب المتماوتين ، ولا تثب وثيب الشطار . و قدم الزمخشري الحديث : " سرعةُ المشي تذهبُ بهاءَ المؤمنِ " وأما قول عائشة في عمر رضي الله عنهما «كان إذا مشى أسرع» فإنما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت . (واغضض مِن صَوْتِكَ) وانقص منه واقصر؛ من قولك : فلان يغض من فلان إذا قصر به ووضع منه (أَنكَرَ الأصوات) أوحشها ، من قولك : شيء نكر ، إذا أنكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت . و

[10] نفس المرجع ، ص 280.

[11] نفس المرجع ، ص 281.

[12] نفس المرجع.

مثل الزمخشري الحمار في الذم البليغ والشتيمة ، وكذلك نهاقه . ومن استفحاشهم لذكره مجرداً وتفاديهم من اسمه : أنهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به ، فيقولون : الطويل الأذنين ، كما يكنى عن الأشياء المستقذرة : وقد عدّ في مساوىء الآداب : أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من أولى المروءة . ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافاً وإن بلغت منه الرجلة ، فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير ، وتمثيل أصواتهم بالنهاق ، ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعار – وإن جعلوا حميراً وصوتهم نهاقاً – مبالغة شديدة في الذم والتهجين وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه . وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان . فإن قلت : لم وحد صوت الحمير ولم يجمع؟ قلت : ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع ، وإنما المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت ، وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس ، فوجب توحيده[13].

ب. تفسير المنير

– وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (12)

وهذا دليل على أن لقمان الحكيم هداه اللّه إلى المعرفة الصحيحة، من غير طريق النبوة. ومن يشكر اللّه على ما منحه وأعطاه ربه، فيطيعه ويؤدي فرضه، فإنما يحقق النفع والثواب لنفسه، وينقذها

[13] . نفس المرجع.

من العذاب، كما قال تعالى: مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَساءَ فَعَلَيْها [فصلت 41/ 46] وقال عز وجل: وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ [الروم 30/ 44] .[14]

ومن جحد نعمة اللّه عليه، فأشرك به غيره، وعصى أوامره، فإنه يسيء إلى نفسه، ولا يضر ربّه، فإن اللّه غني عن العباد وشكرهم، لا يتضرر بذلك، فلا تنفعه طاعة، ولا تضره معصية، وهو المحمود في السماء والأرض بلسان الحال أو المقال، وإن لم يحمده أحد من الناس.[15]

– وَإِذْ قالَ لُقْمانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13)

فى هذه الأية فسر الزحيلي : يا ولدي، اعبد اللّه ولا تشرك به شيئا، فإن الشرك أعظم الظلم، أما إنه ظلم فلكونه وضع الشيء في غير موضعه، وأما كونه أعظم الظلم فلتعلقه بأصل الاعتقاد وتسويته بين الخالق والمخلوق، وبين المنعم وحده وبين غير المنعم أصلا، وهي الأصنام والأوثان[16] .

ثم أمر اللّه تعالى ببرّ الوالدين، جريا على عادة القرآن، فإنه كثيرا ما يقرن اللّه تعالى في القرآن بين الأمر بعبادة اللّه واجتناب الشرك وبين الأمر ببرّ الوالدين، كما في قوله سبحانه: "وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً" الإسراء 17/ 23[17].

– وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَفِصالُهُ فِي عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ(14)

---

[14] . وهبة الزحيلي، *التفسير المنير فى العقيدة و الشريعة و المنهج*، (بيروت: دار الفكر، 1991)، ص. 145.

[15] . نفس المرجع.

[16] . نفس المرجع.

[17]. نفس المرجع ، ص 146.

لقد وصيناه، أي أمرناه وعهدنا إليه بالشكر لي أي للّه على نعمتي عليك، وبالشكر للوالدين لأنهما سبب وجودك، ومصدر الإحسان إليك بعد اللّه تعالى. وقوله تعالى: أَنِ اشْكُرْ لِي لبيان علة الوصية أو وجوب امتثالها، والْإِنْسانَ هنا في رأي الزمخشري تفسيرية، والجملة بيان لفعل التوصية، إذ هو متضمن معنى القول، أي قلنا له: اشْكُرْ لِي.[18]

وكذا علة الأمر بطاعة اللّه وطاعة الأبوين أو السبب فيه: هو أن المصير أو المرجع إلي، فسأجزيك على ذلك أوفر الجزاء في الآخرة. وهذا تهديد وتخويف من عاقبة المخالفة والعقوق والعصيان، كما هو وعد بالجزاء الحسن على امتثال أمر اللّه وطاعته وبرّ الوالدين وصلتهما.[19]

وهذه الآية وما بعدها من كلام لقمان الذي وصى به ابنه، أخبر اللّه عنه بذلك، فلما بيّن لقمان لابنه أن الشرك ظلم ونهاه عنه، كان ذلك حثّا على طاعة اللّه، ثم بيّن أن الطاعة تكون للأبوين، وبيّن السبب في ذلك.[20]

وجمع الزحيلي الأقوال منها : هو من كلام اللّه قاله للقمان، أي قلنا له: اشْكُرْ، وقلنا له: وَوَصَّيْنَا، وقيل: هذه الآية اعتراض بين وصية لقمان تؤكد النهي عن الشرك، قال القرطبي: والصحيح أن هذه الآية وآية العنكبوت السابقة: "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً" نزلتا في شأن سعد بن أبي وقاص وأمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية التي حلفت ألا تأكل حتى يرتد سعد، وعليه جماعة من المفسرين.

---

[18]. نفس المرجع.

[19]. نفس المرجع ، ص 147.

[20] نفس المرجع.

والمختار عند المفسرين أن هذه الآية إلى آخر الآيتين بعدها كلام مستأنف من اللّه تعالى، جاء معترضا بين وصايا لقمان لابنه، تأكيدا للنهي عن الشرك[21].

و ذكر الزحيلي أن فى هذه الأية تتضمن البلاغة (بوالديه، حملته أمه) فيها ذكر الخاص–الأم– بعد العام–ولديه– لزيادة العناية و الإهتمام بالأم[22].

و قد ذكرت الأيات و الأحاديث مرارا فى بر الوالدين و الإهتمام بالأم، منها :

– حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة قال الوليد بن عيزار أخبرني قال سمعت أبا عمرو الشيباني يقول أخبرنا صاحب هذه الدار وأومأ بيده إلى دار عبد الله قال: سألت النبي صلى الله عليه و سلم أي العمل أحب إلى الله ؟ قال (الصلاة على وقتها) . قال ثم أي ؟ قال (ثم بر الوالدين) . قال ثم أي ؟ قال (الجهاد في سبيل الله) .[23]

– حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع بن شبرمة عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال (أمك) . قال ثم من ؟ قال (ثم أمك) . قال ثم من ؟ قال (ثم أمك) . قال ثم من ؟ قال (ثم أبوك).[24]

---

[21] . نفس المرجع 147.

[22] نفس المرجع ، ص 142.

[23] . محمد بن إسماعيل البخاري، المرجع السابق، ص. 47.

[24].نفس المرجع.

– حدثنا أحمد بن يونس حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن حميد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه) . قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال (يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه).[25]

– حدثنا زهير بن حرب حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا جرير بن حازم حدثنا محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبى –صلى الله عليه وسلم– قال « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلى فقالت يا جريج. فقال يا رب أمى وصلاتى. فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت يا جريج فقال يا رب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت يا جريج. فقال أى رب أمى وصلاتى. فأقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات. فتذاكر بنو إسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها فقالت إن شئتم لأفتننه لكم – قال – فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت راعيا كان يأوى إلى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج. فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم قالوا زنيت بهذه البغى فولدت منك. فقال أين الصبى فجاءوا به فقال دعونى حتى أصلى فصلى فلما انصرف أتى الصبى فطعن فى بطنه وقال يا غلام من أبوك قال فلان الراعى – قال – فأقبلوا على جريج

[25]. نفس المرجع.

يقبلونه ويتمسحون به وقالوا نبنى لك صومعتك من ذهب. قال لا أعيدوها من طين كما كانت، ففعلوا.[26]

- وَإِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَصاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15)

أي وإن ألحّ والداك في الطلب، وحرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما في دينهما، وتشرك بي في عبادتي غيري مما لا تعلم أنه شريك لي، فلا تقبل منهما ذلك، ولا تطعهما فيما أمراك به من الشرك أو المعصية، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. والمراد بنفي العلم نفي الشريك، أي لتشرك بي ما ليس بشيء وهي الأصنام.[27]

و لا يمنعك عدم طاعتك لأبويك في الشرك والمعصية من أن تصاحبهما في الدنيا بالمعروف، بأن تحسن إليهما، فتمدهما بالمال عند الحاجة، وتطعمهما وتكسوهما، وتعالجهما عند المرض، وتواريهما عند الموت في القبور، وتبرّ صديقهما، وتفي بعهدهما. وقوله مَعْرُوفاً أي صحابا معروفا على مقتضى الكرم والمروءة، أو مصاحبا حسا بخلق جميل، وحلم واحتمال، وبرّ وصلة.[28]

---

[26]. مسلم بن الحجاج، صحيح *مسليم*، (بندوج: مكتبة دحلان، د.ت)، ص 1976-1977.

[27]. وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص 147.

[28]. نفس المرجع، ص 148.

وقوله: فِي الدُّنْيا تهوين شأن الصحبة، فهي لأيام محدودة، وسنوات معدودة، سريعة الزوال والانقضاء. والمعروف هنا: ما يعرفه الشرع ويرتضيه، وما يقتضي به الكرم والمروءة في إطعامهما وكسوتهما والإحسان إليهما في القول والفعل.[29]

– يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّماواتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (16)

يا ولدي، إن الحسنة والسيئة أو المظلمة والخطيئة، لو كانت تساوي وزن أو مثقال حبة خردل، ولو كانت في أخفى مكان كجوف صخرة، أو في أعلى مكان كالسماوات، أو في أسفل موضع كباطن الأرض، لأحضرها اللّه يوم القيامة حين الحساب، ووزن الأعمال، والمجازاة عليها خيرا أو شرا، كما قال تعالى: "وَنَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ، فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً" الأنبياء 21/ 47 وقال سبحانه: "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ". الزلزلة 99/ 7– 8. وقوله: فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ يراد به المبالغة والانتهاء في التفهيم. إن اللّه لطيف العلم، يصل علمه إلى كل شيء خفي، فلا تخفى عليه الأشياء، وإن دقت ولطفت وتضاءلت، خبير عالم بكنه الأشياء، يعلم ظواهر الأمور وبواطنها.[30]

---

[29]. نفس المرجع،

[30]. نفس المرجع، ص149.

والمقصود من الآية بيان سعة علم اللّه، فهو يعلم الغيب والشهادة، ويطلع على جميع أعمال عباده، لموافاتهم بجزائها يوم القيامة.[31]

- يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17)

فى هذه الأية فسر الزحيلي أن لقمان الحكيم أمر إبنه بصالح الأعمال اللازمة للتوحيد وهي الصلاة أي العبادة لوجه الله مخلصا، و إقامتها أي أداؤها كاملة بحدودها و فروضها و أوقتها، و هي عماد الدين، و دليل الإيمان و اليقين، و وسيلة القربي إلى الله و تحقيق رضوانه، كما أنها تساعد على اجتناب الفحشاء و المنكر، و صفاء النفس.[32]

والأمر بالمعروف أي أمر النفس والغير بما هو معروف شرعا وعقلا، كمكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال، مما يهذب النفس ويدعو إلى التحضر والتمدن، كما قال تعالى: "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها، وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها". الشمس 91/ 9- 10. والنهي عن المنكر، أي منع النفس والآخرين من المعاصي والمنكرات المحرّمة شرعا والقبيحة عقلا، والتي تغضب اللّه، وتوجب عذاب جهنم.[33]

والصبر على الأذى والشدائد والأوامر الإلهية، فإن الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر يؤذى عادة، فطلب منه الصبر. وقد بدئت الوصايا بالصلاة لأنها عماد الدين وختمت بالصبر لأنه أساس

---

[31]. نفس المرجع.

[32]. نفس المرجع، ص 140.

[33]. نفس المرجع.

المداومة على الطاعات، وعماد رضوان اللّه، كما قال تعالى: "وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ". البقرة 2/ 45.[34]

إِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ أي إن ذلك المذكور مما أمر اللّه به ونهى عنه، ومنه الصبر على أذى الناس، لمن الأمور الواجبة المعزومة، أي المقطوعة قطع إيجاب وإلزام.[35]

والآيات و الأحاديث في الأمر بالصبر وبيان فضله كثيرة معروفة منها :

- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا.[36]
- وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ.[37]
- إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَاب.[38]
- وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ.[39]
- اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ.[40]
- وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ.[41]

---

[34]. نفس المرجع.
[35]. نفس المرجع.
[36]. سورة آل عمران أية 200.
[37]. سورة البقارة أية 155.
[38]. سورة الزمر أية 10.
[39]. سورة الشورى أية 43.
[40]. سورة البقارة اية 153.
[41]. سورة محمد اية 31.

– وعن أبي مالكٍ الحارث بن عاصم الأشعريِّ – رضي الله عنه – ، قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ((الطُّهُورُ شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحانَ الله والحمد لله ملآن – أَوْ تملأ – ما بين السماوات والأرض، والصَّلاةُ نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياءٌ ، والقرآن حجة لك أو عليك. كلُّ النَّاسِ يغدُو فبائعٌ نفسَهُ فَمُعْتِقُهَا أو موبقها.[42]

– وعن أبي يحيى صهيب بن سنانٍ – رضي الله عنه – ، قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :عَجَباً لأمْرِ المؤمنِ إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خيرٌ ولَيسَ ذلِكَ لأَحَدٍ إلاَّ للمُؤْمِن : إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكانَ خَيراً لَهُ ، وإنْ أصَابَتْهُ ضرَاءُ صَبَرَ فَكانَ خَيْراً لَهُ.[43]

– وعن صهيب – رضي الله عنه – : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، قال : كَانَ مَلِكٌ فيمَنْ كَانَ قَبلَكمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ للمَلِكِ : إنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إلَيَّ غُلاماً أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ ؛ فَبَعثَ إِلَيْهِ غُلاماً يُعَلِّمُهُ ، وَكانَ في طرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ ، فَقَعدَ إِلَيْه وسَمِعَ كَلامَهُ فَأعْجَبَهُ ، وَكانَ إِذَا أتَى السَّاحِرَ ، مَرَّ بالرَّاهبِ وَقَعَدَ إِلَيْه ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ ، فَشَكَا ذلِكَ إِلَى الرَّاهِب ، فَقَالَ : إِذَا خَشيتَ السَّاحِرَ ، فَقُلْ : حَبَسَنِي أَهْلِي ، وَإِذَا خَشِيتَ أهلَكَ ، فَقُلْ : حَبَسَنِي السَّاحِر. فَبَيْنَما هُوَ عَلَى ذلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ ، فَقَالَ : اليَوْمَ أعْلَمُ السَّاحرُ أفْضَلُ أم الرَّاهبُ أفْضَلُ ؟ فَأخَذَ حَجَراً، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إنْ

[42]. مسلم بن الحجاج، المرجع السابق، ص.203.

[43]. نفس المرجع، ص. 2295.

كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هذِهِ الدّابَّةَ حَتَّى يَمضِي النَّاسُ ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَها ومَضَى النَّاسُ ، فَأَتَى الرَّاهبَ فَأَخبَرَهُ . فَقَالَ لَهُ الرَّاهبُ : أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ اليَومَ أَفْضَل منِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى ، فَإِن ابْتُلِيتَ فَلاَ تَدُلَّ عَلَيَّ ؛ وَكانَ الغُلامُ يُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرصَ ، ويداوي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاء . فَسَمِعَ جَليسٌ لِلملِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ ، فأتاه بَهَدَايا كَثيرَةٍ ، فَقَالَ : مَا ها هُنَا لَكَ أَجْمعُ إنْ أنتَ شَفَيتَنِي ، فَقَالَ : إنّي لا أشْفِي أحَداً إِنَّمَا يَشفِي اللهُ تَعَالَى ، فَإنْ آمَنْتَ بالله تَعَالَى دَعَوتُ اللهَ فَشفَاكَ ، فَآمَنَ بالله تَعَالَى فَشفَاهُ اللهُ تَعَالَى ، فَأَتَى الملِكَ فَجَلسَ إِلَيْهِ كَما كَانَ يَجلِسُ ، فَقَالَ لَهُ الملِكُ : مَنْ رَدّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ ؟ قَالَ : رَبِّي ، قَالَ : وَلَكَ رَبٌّ غَيري ؟ قَالَ : رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الغُلامِ ، فَجيء بالغُلاَمِ ، فَقَالَ لَهُ الملِكُ : أيْ بُنَيَّ ، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِىء الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وتَفْعَلُ وتَفْعَلُ ! فَقَالَ : إنِّي لا أَشْفي أحَداً ، إِنَّمَا يَشفِي الله تَعَالَى . فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهبِ ؛ فَجِيء بالرَّاهبِ فَقيلَ لَهُ : ارجِعْ عَنْ دِينكَ ، فَأَبَى ، فَدَعَا بِالمِنْشَارِ فَوُضِعَ المِنْشَارُ في مَفْرق رَأسِهِ ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ، ثُمَّ جِيءَ بِجَليسِ الملِكِ فقيل لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَى ، فَوضِعَ المِنْشَارُ في مَفْرِق رَأسِهِ ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ، ثُمَّ جِيءَ بالغُلاَمِ فقيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينكَ ، فَأَبَى ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الجَبَل ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلاَّ فَاطْرَحُوهُ . فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الجَبَلَ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَكْفنيهمْ بِمَا شِئْتَ ، فَرَجَفَ بِهِمُ الجَبلُ فَسَقَطُوا، وَجاءَ

يَمشي إِلَى المِلكِ ، فَقَالَ لَهُ المِلكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ فَقَالَ : كَفَانِيهِمُ الله تَعَالَى ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهِ فاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ وتَوَسَّطُوا بِهِ البَحْرَ ، فَإِنْ رَجعَ عَنْ دِينِهِ وإِلاَّ فَاقْذِفُوهُ . فَذَهَبُوا بِهِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَكْفِنيهِمْ بمَا شِئْتَ ، فانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفينةُ فَغَرِقُوا ، وَجَاء يَمْشي إِلَى المِلكِ . فَقَالَ لَهُ المِلكُ : مَا فعلَ أَصْحَابُكَ ؟ فَقَالَ : كَفَانيهِمُ الله تَعَالَى . فَقَالَ لِلمَلِكِ : إِنَّكَ لَسْتَ بقَاتلي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ. قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعيدٍ وَاحدٍ وتَصْلُبُني عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْماً مِنْ كِنَانَتي ، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبدِ القَوْسِ ثُمَّ قُلْ : بسْم الله ربِّ الغُلاَمِ، ثُمَّ ارْمِني، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذلِكَ قَتَلتَني، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعيد واحدٍ ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِهِ ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ القَوْسِ ، ثُمَّ قَالَ : بِسمِ اللهِ ربِّ الغُلامِ ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوقَعَ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فَمَاتَ ، فَقَالَ النَّاسُ : آمَنَّا بِرَبِّ الغُلامِ ، فَأُتِيَ المِلكُ فقيلَ لَهُ : أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ والله نَزَلَ بكَ حَذَرُكَ . قَدْ آمَنَ النَّاسُ . فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ بأَفْواهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وأُضْرِمَ فيهَا النِّيرانُ وَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرْجعْ عَنْ دِينهِ فَأَقْحموهُ فيهَا ، أَوْ قيلَ لَهُ: اقتَحِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءت امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا ، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فيهَا، فَقَالَ لَهَا الغُلامُ : يَا أُمهْ اصْبِري فَإِنَّكِ عَلَى الحَقِّ!.[44]

– وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ (18)

لا تُعْرِضْ بوجهك عن الناس إذا كلموك تكبرا واحتقارا، والمعنى: لا تتكبر فتحتقر عباد اللّه، ولا تتكلم وأنت معرض، بل كن متواضعا سهلا هينا لينا منبسط الوجه، مستهل البشر، كما جاء في

[44]. نفس المرجع، ص.

الحديث النبوي:"لا تحقرنّ من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط، وإياك وإسبال الإزار، فإنها من المخيلة، والمخيلة لا يحبها اللّه" .[45]

و لا تسر في الأرض مختالا بطرا متبخترا، جبارا عنيدا، فإن تلك المشية يبغضها، واللّه يكره كل مختال معجب في نفسه، فخور على غيره، كما قال تعالى: "وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً، إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ، وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولًا". الإسراء 17/ 37. و قال صلّى اللّه عليه وسلّم فيما رواه الجماعة (أحمد وأصحاب الكتب الستة) عن ابن عمر: «من جرّ ثوبه خيلاء، لا ينظر اللّه إليه يوم القيامة» . والفخور: هو الذي يعدد ما أعطي، ولا يشكر اللّه تعالى» .[46]

وروى يحيى بن جابر الطائي عن غضيف بن الحارث قال: جلست إلى عبد اللّه بن عمرو بن العاص، فسمعته يقول: إن القبر يكلم العبد إذا وضع فيه، فيقول: يا ابن آدم، ما غرّك بي! ألم تعلم أني بيت الوحدة! ألم تعلم أني بيت الظلمة! ألم تعلم أني بيت الحق! يا ابن آدم ما غرّك بي! لقد كنت تمشي حولي فدّادا (مختالا متكبرا) .[47]

– وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (19)

أي امش مشيا متوسطا عدلا، ليس بالبطيء المتثبّط المتماوت الذي يظهر الضعف تزهدا، ولا بالسريع المفرط، الذي يثب وثب الشيطان، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم فيما رواه أبو نعيم في

---

[45]. وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص 150.

[46]. نفس المرجع، ص 151.

[47]. نفس المرجع.

الحلية عن أبي هريرة، وهو ضعيف: سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن، وأما قول عائشة في عمر رضي اللّه عنهما:كان إذا مشى أسرع في مشيته. فالمراد السرعة التي تتجاوز دبيب المتماوتين. وقد رأى عمر رجلا متماوتا، فقال له: لا تمت علينا ديننا، أماتك اللّه، ورأى رجلا مطأطئا رأسه، فقال له: ارفع رأسك، فإن الإسلام ليس بمريض .[48]

و لا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه، وأخفضه، فإن شدة الصوت تؤذي آلة السمع، وتدل على الغرور والاعتداد بالنفس وعدم الاكتراث بالغير، واعتدال الصوت أوقر للمتكلم، وأقرب لاستيعاب الكلام ووعيه وفهمه، وقد علل النهى عن رفع الصوت بأنه يشبه صوت الحمير في علوه ورفعه، وإن أقبح الأصوات لصوت الحمير، وهو بغيض إلى اللّه تعالى، والسبب أن أوله

زفير وآخره شهيق.[49]

وفيه دلالة على ذمّ رفع الصوت من غير حاجة، لأن التشبيه بصوت الحمار يقتضي غاية الذمّ، وقد ورد في السّنة أيضا ما يدل على التنفير منه، روى الجماعة إلا ابن ماجه عن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي صلّى اللّه عليه وسلّم قال: "إذا سمعتم صياح الديكة، فاسألوا اللّه من فضله، وإذا سمعتم نهيق الحمير، فتعوذوا باللّه من الشيطان، فإنها رأت شيطانا" .[50]

---

[48]. نفس المرجع.

[49]. نفس المرجع.

[50]. نفس المرجع.

ج. دراسة مقارنة

1. التسوية

قد ذكر سابقا أن فى وصايا لقمان الحكيم لإبنه مواد التربية وهي : التوحيد الذى وجد فى أية 13 و أية 16، و الأدب مع الوالدين فى أية 14-15، و العبادة فى أية 17 و أية 19، و المعاملة فى أية 17-18.

أما مادة التوحيد فالزمخشري و الزحيلي مساويان فى تفسيره حيث قالا أن الشرك أعظم الظلم، أما إنه ظلم فلكونه وضع الشيء في غير موضعه، وأما كونه أعظم الظلم فلتعلقه بأصل الاعتقاد وتسويته بين الخالق والمخلوق، وبين المنعم وحده وبين غير المنعم أصلا، وهي الأصنام والأوثان.

و قال فخر الرازي فى تفسيره أن التوحيد هو أساس فى الديني السماوي، فكل رسول أرسله الله سبحانه و تعالى فالتوحيد هو البعثة فى رسالته.[51]

و رأى الغزالي أن التوحيد ينقسم إلى أربعة مراتب. المرتبة الأولى هي التصديق باللسان أن لا إله إلا الله و قلبه فى غفلة، و هذا التوحيد للمنافقين. المرتبة الثانية هي التصديق بالقلب بوجود الله تعالى كما أن المسلين يصدقونه، و هذا للعوام. المرتبة الثالثة هي المشاهدة بنظر الكشف بوسيلة النور الحق، و

[51]. الفخر الرازي، *تفسير الفخر الرازي*، (بيروت: دار الفكر،1994) ص 105.

هذا للمقربين. المرتبة الرابعة أن المرأ لا يشهد الوجود إلا وجود الله. و هذا التوحيد فى التصوف يسمى الفناء فى التوحيد، يعنى أن المرأ لا يشهد شيأ إلا الله، و لا يشعر نفسه لأنه قد أغرق بالتوحيد.[52]

و فى مادة الأدب مع الوالدين ففسرا أن الله سبحانه و تعالى أمر الإنسان و ألزمه ببر والديه و طاعتهما، و أداء حقوقهما، و لا سيما بر الأم التى حملته فى ضعف فوق ضعف، من الحمل إلى الطلق إلى الولادة و النفاس، ثم الرضاع و الفطام فى مدة عامين و التربية ليلا و نهارا.

و هذا لم يكن متعارضا بما قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري فى تفسيره أن بر الوالدين مهم جدا. هذه الأية أمرت الإنسان بطاعتهما، و حملمت الأم ضعفا و ثقلا.[53]

2. الفرق

لم يتكلم الزمخشري كثيرا عن العبادة او الطاعة حيث قال أن الصبر و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر أنها كانت مأموراً بها في سائر الأمم ، وأنّ الصلاة لم تزل عظيمة الشأن ، سابقة القدم على ما سواها، موصى بها في الأديان كلها.[54]

---

[52]. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، *إحياء علوم الدين*، (سمارج : مكتبة طه فوطرا، د.ت)، ص 240 .

[53]. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، *تفسير الطبري*، (بيروت: دار الفكر، 1978)ج 8، ص 44.

[54]. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المرجع السابق، ص. 280.

أما الزحيلي فقد كلم كثيرا عن العبادة و الطاعة فى تفسيره لاسيما عن الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنها تشمل جميع الطاعات والفضائل، والحضّ على تغيير المنكر والصبر، وإن نال الإنسان ضرر، وفيه إشعار بأن المغيّر يؤذى أحيانا.[55]

كما أن الصبر مندوب إليه عند التعرض لشدائد الدنيا كالأمراض وغيرها، وعلى الإنسان ألا يخرج من الجزع إلى معصية اللّه عزّ وجلّ، فإن من حقيقة الإيمان الصبر على المكاره.[56]

وإن إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من عزم الأمور، أي مما عزمه اللّه وأمر به، وجعله من الأمور الواجبة.[57]

و قال أيضا إن الصلاة أي العبادة لوجه الله مخلصا هي من صالح الأعمال، و إقامتها أي أداؤها كاملة بحدودها و فروضها و أوقتها، و هي عماد الدين، و دليل الإيمان و اليقين، و وسيلة القربي إلى الله و تحقيق رضوانه، كما أنها تساعد على اجتناب الفحشاء و المنكر، و صفاء النفس.[58]

والأمر بالمعروف أي أمر النفس والغير بما هو معروف شرعا وعقلا، كمكارم الأخلاق، ومحاسن الأفعال، مما يهذب النفس ويدعو إلى التحضر والتمدن.[59] والنهي عن المنكر، أي منع النفس والآخرين من المعاصي والمنكرات المحرّمة شرعا والقبيحة عقلا، والتي تغضب اللّه، وتوجب عذاب جهنم.[60]

---

[55]. وهبة الزحيلي، المرجع السابق، ص. 155.

[56]. نفس المرجع، ص.155.

[57]. نفس المرجع.

[58]. نفس المرجع ، ص. 149.

[59]. نفس المرجع.

والصبر على الأذى والشدائد والأوامر الإلهية، فإن الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر يؤذى عادة، فطلب منه الصبر. وقد بدئت الوصايا بالصلاة لأنها عماد الدين وختمت بالصبر لأنه أساس المداومة على الطاعات، وعماد رضوان اللّه.[61]

و فى الأية 18 (و لا تصعر خدك للناس....) ففسر الزمخشري بالمعنى فقط حيث قال : والمعنى : أقبل على الناس بوجهك تواضعاً ، ولا تولهم شق وجهك وصفحته ، كما يفعل المتكبرون.[62] و لا يكن غرضك في المشي البطالة والأشر كما يمشي كثير من الناس لذلك، لا لكفاية مهم ديني أو دنيوي.[63]

و أما عند الزحيلي ففسر بالمعنى و يتطور إلى علوم آخر حيث قال : لا تُعْرِضْ بوجهك عن الناس إذا كلموك تكبرا واحتقارا، والمعنى: لا تتكبر فتحتقر عباد اللّه، ولا تتكلم وأنت معرض، بل كن متواضعا سهلا هينا لينا منبسط الوجه، مستهل البشر.[64] و لا تسر في الأرض مختالا بطرا متبخترا، جبارا عنيدا، فإن تلك المشية يبغضها اللّه، و هو يكره كل مختال معجب في نفسه، فخور على غيره.[65]

فهذه الأية عند الزمخشري دلت على تحريم التكبر، و النبي صلى الله عليه و سلم قد نهي قومه عن هذا حيث قال " لا تحقرنّ من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط، وإياك وإسبال

---

[60]. نفس المرجع ، ص. 150.

[61]. نفس المرجع.

[62]. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المرجع السابق، ص. 281.

[63]. نفس المرجع.

[64]. وهبة الزحيلي، المرجع السابق.

[65]. نفس المرجع.

الإزار، فإنها من المخيلة، والمخيلة لا يحبها اللّه" و قال أيضا : " من جرّ ثوبه خيلاء، لا ينظر اللّه إليه يوم القيامة"، [66]

يحرم الله على الإنسان أن يمشي في الأرض متبخترا متكبرا، بل يحرم التكبر في كل الحالات . و يندب للإنسان القصد أي التوسط في المشي، وهو ما بين الإسراع والبطء، فلا تدبّ دبيب المتماوتين، ولا تثب وثب الشيطان . كما يندب أيضا إليه عدم التكلف في رفع الصوت، والتكلم حسب الحاجة والمعتاد، فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلّف يؤذي، والمراد بذلك كله التواضع. [67]

والآية تأديب من اللّه تعالى للإنسان بترك الصياح في وجوه الناس تهاونا بهم، أو بترك الصياح جملة، وقد نهى اللّه عنه، لأنه من أخلاق الجاهلية وعاداتها، فقد كانت العرب تفخر بجهارة الصوت الجهير وغير ذلك. [68]

قد انتهى تكلم التسوية و الفرق بين تفسير الزمخشري و الزحيلي فى مواد التربية من وصايا لقمان الحكيم لإبنه. و ربما سبب التسوية و الفرق بينهما لأنهما عالمان فى التفسير، و االزمخشري أفقه فى قواعد اللغة، و الزحيلي أفقه فى الفقه.

---

[66]. نفس المرجع، ص. 155.

[67]. نفس المرجع، ص 156

[68]. نفس المرجع.